المقامة الشريفية

في

مزايا اللغة العربية

لمنشئها الاريب الالمعي والشاب النجيب اللوذعي
محمد افندي شريف أحد المعلمين بمدرسة التجهيزيه

الطبعة الاولى
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجمالية)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٦)
(هجريه)

﴿المقامة الشريفية﴾

(في)

﴿مزايا اللغة العربية﴾

﴿لمنشيها الاديب الالمعي والشاب النجيب اللوذعي﴾
﴿محمد افندي شريف أحد المعلمين بمدرسة التجهيزية﴾

﴿الطبعة الاولى﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجمالية)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٦)
(هجريه)

((بسم الله الرحمن الرحيم))

بعد حمد الله الذي بذكره تتروح النفوس وتترنح له أفنان السطور في رياض الطروس والصلاة والسلام على من أزهرت أزاهر حصافته وفصاحته وفتنت القلوب ببدائع عبارته وروائع براعته سيدنا محمد أكمل من نطق بالصواب وأفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه الذين بلغوا بلاغه ونالوا الدرجة العظمى في البلاغه

(يقول) الفقير الضعيف محمد شريف أحد المتخرجين بمدرسة الحقوق الخديويه ذات المآثر البهيه قد ابتلج لفكري واختلج في صدري ان أضمن شيأ من مزايا اللغة العربيه في مقامة أدبيه ترويحا للنفس وتقييد البعض ما وعيته في الدرس عن أستاذي الفاضل العارف المشار اليه في عوارف المعارف حضرة حفني افندي ناصف

وان

وأن أقدمها هدية لمن بقدومه نسيم الاقبال تنسم وفم المعارف بالامانى تبسم ناظرها الذى ليس له نظير وأميرها العالم الشهير الخطير من هو فى فضل معارفه لا يضاهى ولا يشارك صاحب العطوفة على باشا مبارك كيف لا وقد اختطبته المدارس وصاح بلبلها على أيكها وترنم أنت كفؤ لها فاحتكم مولاى وتحكم هاته مقاليدها ألقتها اليك المعالى اذ رأت تفويض الامر اليك أسلم وتوجيه عنايتك نحو اصلاح شؤنها أجل وأحكم وقد نجز بحمد الله ما أردت وتم بتوفيقه ما قصدت فجاءت مقامة هى رياض أزهار وغياض أفكار تجرى من تحتها الانهار قد اطردت من منبع البلاغة أنهارها وغردت بألسن الفصاحة أطيارها ولا غرو فقد بزغت فى هذا العصر شموس العرفان بعد كسوفها وطلعت بدور الفهوم بعد خسوفها وماذاك الا بعناية الحضرة الفخيمة الخديويه والطلعة المنيرة التوفيقيه لازال كوكب سناها جلا هاطالعا وموكب علاها للعداها قامعا ودامت حضرات أنجالها الكرام بصنوف النعم متمتعين وفى أثواب العز والهناء رافلين ولا برحت آمال وزرائها الفخام ورجال حكومتها العظام جانحة لنفع العباد مائلة الى عمار البلاد انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير

(المقامه)

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

تاقت نفسى الى زيارة بعض الاخدان فسرت اليه مشمرا فضل الاردان فى ليلة تعادل حرّها وقرّها وتجلى على الغبراء من الخضراء بدرها فلما وصلت اليه وقضيت لبانة النفس بالسلام عليه أجلسنى على بساط اكرامه وحيانى بنظام بديعه وبديع نظامه وبعد ان نظم كل مناسبات مقاله وفرغ من الكلام على شرح حاله أخذت أتأمل فى الحاضرين فألفيتهم جماعة رؤيتهم تسر الناظرين كأنهم زهر الربيع أو نجوم الليل بعد هزيع وجوههم مضيه وأخلاقهم رضيه حديثهم أرق من النسيم وأعذب من التسنيم

أحاديث أحلى فى النفوس من المنى * وألطف من مر النسيم اذا سرى

قد أخذوا يتجاذبون أذيال المذاكره ويلجون كل باب من المحاضره حتى مال الكلام بهم ميله وجرّ فى اللغة العربية ذيله فتركت صاحبى فى الحال بلا استئذان أو سؤال وانتظمت فى سلك تلك الجمعيه ذات المحاسن البهيه وقصاراى لفظة شرود أصيدها أو كلمة بليغة أستفيدها فوجدتهم يتكلمون فى مسألة الارتباط المتين بين اللغة العربية والكتاب المبين وتلك مسألة كثر جولانها فى صدرى واشتغل بالوقوف على

حقيقتها

حقيقتها فكري وطالما عنيت بها قدما حتى أحطت بها علما فأصخت
بسمعي الى ما يقولون من الكلام لأتبين ما عندهم في هذا المقام فرأيت
بعضهم ينكر هذا الارتباط بالمره وبعضهم يثبته ولكن يضعف أمره
ومنهم من قصر به العزم فوقف عن الجزم فاخذني عند ذلك العجب
وكدت أتميز من الغضب وقلت يا قوم ما بالكم تخبطون خبط العشواء في
الليلة الدهماء غارقين في بحار الجهاله سالكين سبل الغي والضلاله يا قوم
انكم ظلمتم أنفسكم بخروجكم عن دائرة الحق والصواب حتى ضرب بينكم
وبين الحقائق بحجاب فاتبعوا الهدايه وتجنبوا الغوايه ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون فقالوا نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين أبن لنا الحق واحكم
بيننا فيما كافيه مختلفين فقلت اعلموا يا ذوي الوجوه المستحسنه جعلكم
الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ان العرب قبل ظهور الاسلام
وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام كانت متفرقة الى قبائل وشعوب
منقسمة الى معاشر وضروب ولكل قبيلة من تلك القبائل المتنوعه
والفصائل المتفرعه لهجة مخصوصة في التلفظ بالكلمات وهيئة
معلومة في النطق بالعبارات وكانت تجتمع العرب كل عام في مواسم عامة
يحتفل لها الاحتفال التام ويحضرها الجم الغفير من الاقوام يتناشدون
فيها الاشعار ويتساءلون الاخبار فضلا عن اجتماعهم في مواقف
الحروب وتلاقيهم في الاسفار فكانت تجدد لهم كلمات عديده وتنتشر
على ألسنة الشعراء والخطباء منهم لغات جديده فاذا سمع الواحد منهم

لغات الآخرين قيدها فى فكره وحررها أو محاها وسطرها ليستعمل منها فى عبارته ما استحسنه ويترك بها فى لغته بعض ما استهجنه وبهذه المثابة صارت تلك اللغات محطا للزيادة والنقصان وعرضة للتغيير بتغير الازمان حتى طلعت شموس الاسلام فى سماء اليقين وأنزل الله بلغة قريش قرآنه العربى المبين فتبادر العرب وتسابقوا وتنافسوا وتلاحقوا فى اتباع طريقته الشافية الصحيحة والتزام لغته الراجحة الفصيحة فأخذت اللغة فى ذلك العهد تتوحد وتتألف شواردها وتتفرد ثم لما قويت شوكة الاسلام واختلط بالعرب الاعجام وخافت العلماء على اللغة أن يفسد أمرها جمعوها وضبطوها وبالقواعد على لغة القرآن الشريف قرروها وربطوها فاتبعت فى ذلك الوقت عشائر العرب وجميع الناس طريقة القرآن واتخذوا بها بعد الوحشة كل الائتناس واتخذوها لغاتهم قياسا وجعلوها لها أساسا وقد تأيد بعد ذلك سلطان الاسلام واتسعت حوزته وتقوت صولته وأقيمت شوكته وتقررت حجته واتضحت محجته وانتشر استعمال القرآن فى أمور عند المسلمين كثيرة الاعتبار كالصلاة والادعية والاذكار وكذلك فى الافراح والمواسم والاحزان والمآتم وأيضا فى استنزال الرحمات واستدرار البركات وفى خطب الصلوات الاسبوعية وغير الاسبوعية وما يلقى من المقالات والرسائل فى أغراض الهيئة الاجتماعية وبالجملة فنزول القرآن كان له الوقع العظيم والنفع الكثير العميم فطالما اقتبس الناس من عباراته واستشهدوا فى المواقع المختلفة بآياته حتى جرى

القرآن الشريف من الناس مجرى الثمار من الادواح وامتزج بكلامهم امتزاج الماء بالراح واشتبك بأقوالهم ولا اشتباك الارواح بالاشباح وأصبح كل متعبد بهذا الدين القويم ومهتد بهديه الى الصراط المستقيم يستمع ألفاظ القرآن فى غالب الاحيان فمن ثم اعتاد لسانه على نطق الجمل الصحيحه والكلمات الفصيحه وان كان قليل من الضعف مشوبا باللغة الدارجة العرفيه فليس الامر كذلك بالنسبة لما يكتب باللغة العربية الحقيقيه واذا تقرر أن ألسنة المسلمين مقومة بالسنة والقرآن معتادة على النطق بأفصح بيان فلا عجب اذا رأينا أهل البلاد المصريه مستغنين عن تعلم كثير من القواعد الصرفيه اذ لكل بلد ضرورات مخصوصه وعادات فى التعليم منصوصه فمهما بذل أهل البلاد الاخرى جهدهم فى احكام النطق بالمفردات واتقان اللهجة وتحسين التلفظ بالعبارات لم يبلغوا درجة فى تعديل اللسان تعادل درجة المصرى الذى يقرأ القرآن ولو كان ممن لا يفقه له معنى ولا يقيم لقواعد العربية وزنا بل قد يشمل ذلك بعض العوام الذين هم عن الفصاحة مبعدون وللحن على الدوام متبعون فلا شبهة بعد ما ذكرته فى أن القرآن أفاد فى اللغة العربية فائدة عظيمه ومنحها مزية كبيرة جسيمه وهى توحيد اللغة الفصيحة فيها وتأليف شتاتها ولم شعثها واحياء رفاتها حتى صارت سالمة من الخلل بريئة من العلل محفوظة عن التغيير والتبديل مصونة من الانقراض والتعطيل وبذلك أمكن الناس الوقوف على خباياها والوصول الى غوامضها وخفاياها فلولا

وجوههم شطرها وغاصوا بحرها لما لها من الفوائد التى لا تنكر والمزايا التى تذكر فتشكر ﴿فن﴾ المزايا التى تترتب على معرفة العربيه وتمتاز بها عن سائر اللغات الاعجميه كونها رابطة عامة لعدة من الخلائق فى المغارب والمشارق ولحمة عظمى لجلة من الامم صلتها من آكد الصلات وحرمتها من أعظم الحرم ولا يكفى فى عقد هذه اللحمة اللغة العاميه لان لكل شعب فيها طريقة خصوصيه فلهجة المصريين أو الحجازيين تخالف لهجة غيرهم من المغربيين أو الشاميين فالامر العام الذى ترجع هذه اللهجات اليه ويعتمد فى مبادلة الافكار المختلفة عليه هو اللسان الصحيح الشريف لسان التحرير والتأليف ﴿ومنها﴾ كونها مفتاح العلوم ومصباح الفهوم وواسطة لادراك ما يجده الانسان ويقع تحت العيون والآذان من التآليف العديده فى الاغراض المتنوعة والفنون المفيده بدون احتياج الى معلم يستعان به على سبر كنه أغوارها وجوس خلال ديارها والوقوف على دقائقها والوصول الى حقائقها اللهم ان لم يكن فى تلك الكتب تعقيد فى المعنى وتوقيف أو قصور وضعف تأليف مما يطمس مرآة التفكر ويحجب نور التبصر فتبقى أغراض كاتبها مخبوءة تحت قصور العباره مستترة بصفيق هذه الستاره لا يتمتع الطالبون بعلمها ولا تجد النفوس سبيلا الى فهمها والذنب فى ذلك على الكاتب حيث لم يضع الكلام على وفق الاصول العربيه المعلومة عند أئمتها الاعلام ﴿ومنها﴾ كونها تجعل صاحبها قادرا على ارسال أشعة أفكاره الى أبناء جلدته فيستجلون ضياء أنواره ولا يجدون فى طريقهم

عقبات من العقاده تحجب عن الطالبين مراده فينتفعون بكتب مؤلفاته ويستفيدون من غريب مقالاته وترون من نال هذه الصناعه وأفرغ فيها الجهد والاستطاعه ممتعا بأعلى درجات الشرف وعلو الشان معززا مكرما مشارا اليه بالبنان واذا مات خلدت له ألسنة المحامد على صفحات الايام ذكرا وملأت أفواه المحابر بطون التاريخ حمدا وشكرا فهو حي فى الدارين باه باحدى الحسنيين ألا فانظروا الى علامة زمانه ونادرة أوانه الفاضل الاريب والكاتب الاديب والماهر اللبيب والناقد الخبير والبارع فى التحبير والتحرير رفاعه بك الشهير ضاعف الله أجوره وجعل فى فراديس الجنان أنسه وسروره فانه رحمه الله قد شغل بتراجمه جزأ عظيما من كتبخانة المعارف وأودعها تصانيف شتى مشتملة على الفوائد واللطائف وفنون الحكم والادبيات والظرائف فكسب الثواب الجزيل وخلد له الذكر الجميل وكأن لسان الحال ينطق بهذا المقال .

تلك آثارنا تدل علينا ٭ فانظروا بعدنا الى الآثار

أما الذين تقاعدوا عن الحصول عليها وتقاعسوا عن تعلمها وصرف الهمة اليها فلا يعرفون قيمتها الا عند الشروع فى العمل ويأسفون حينئذ على حرمانهم من مزاياها بطاعتهم دواعى الكسل ويندمون ولا ينفع الندم حيث زلت القدم ولا يفيد التلافى بعد التلاف ولا يرد السهم الى القوس وقد خرق الشغاف فتجدونهم لا يستطيعون افهام الغير أمرهم ولا يمكنهم أن يودعوا معلوماتهم فى كتب تخلد ذكرهم خشية أن يطلع عليها أهل

هذا الفن أرباب الحل والعقد فيلقونها تحت منظار البحث والنقد ولذلك يكتمون علمهم فى صدرهم حتى يلحدوا فى قبرهم ويموت علمهم بموتهم ولا ينفع أبناء جنسهم ويخيب أملهم ويحبط عملهم

فهذا الذى ان عاش لا يعتنى به ۞ وان مات لم تحزن عليه الاقارب

أمّا الذين ألزمتهم الشفقة الوطنيه وأخذتهم الحمية العربيه لنفع الوطن وخدمة السكن وكأنهم يعنون بذلك قول من قال وأحسن فى المقال

بلاد بها نيطت على تمائمى ۞ وأوّل أرض مس جلدى ترابها

فانهم لا يحجمون عن الكتابة والتأليف ولا يتأخرون عما يمكنهم من الافادة وان لم يقدروا على ترصيف التصنيف فترونهم اذا ألفوا ووضعوا وصنفوا عرضوا ما كتبوه على أستاذ قد استأجروه لتهذيب معانيه وتصحيح عباراته وتشييد مبانيه فمع ما يبذلونه للاستاذ من المال ويتخذونه معه من لين المقال لقضاء المطلوب ونجاز المرغوب يجد الانسان التأليف بعد نشره خاليا من لطف الاسلوب ومتانة السياق عاريا عن سلاسة العبارة ووضع الالفاظ فى مواضعها بالاستحقاق ومن ذا الذى يبسط ما عنده من البيان ويوسع مجال القول والتبيان غير الانسان الواقف على ما فى ضميره العالم بحسن فكره وتدبيره ﴿ومنها﴾ معرفة استنباط تاريخ أمم الاسلام والاستدلال عليه بطريقة الكلام بأن نطبق جميع المواد المتنوعه الشائعة فى اللغات العاميه أصليه أو متفرعه على ما يماثلها من لغات العرب الصحيحه ونقارن بين اللهجة

الفصيحة وغير الفصيحة ونسب كل من يتكلم بطريقة الى أصحابها
ونعده من أربابها ومن تلك المقارنة نعلم الى من هؤلاء الناس ينتسبون
وبمن يرتبطون سواء فى ذلك ارتباط النسب أو ارتباط الولاء والمحالفة
أو الحسب ﴿ومنها﴾ كونها أوسع من غيرها من اللغات وأكثرها طرقا
فى فن الكتابات وأفصحها مقالا وأفسحها مجالا وأوفقها للنظم طباعا
وأطولها فى النثر باعا فيمكن أن يؤتى فى المقام الواحد بدرجات من
الاسهاب وأنواع من الايجاز تستطاب الى غير ذلك من أساليب
البلاغة والبراعة التى توسع مجال اليراعة وحسبكم ما كتب به بعض
الجواسيس وقد وقع فى أيدى من ذهب ليتجسس حالهم وذاق من ألم
الحبس والعذاب كل ما بدا لهم وحملوه على أن يغرر بسلطانه وما علموا
ما أدمجه فى سحر بيانه

﴿أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحا من السعى فى تعرف﴾
﴿أحوالهم وانى قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد فى أخلاق﴾
﴿الملك المهلة بالامور والنظر فى العاقبة فقد تحققت أنكم الفئة﴾
﴿الغالبة باذن الله وقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك﴾
﴿نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام﴾

اذ أشار بالاستراحة الى وقوعه فى أيديهم وبالاستضعاف الى زيادتهم
عن أعاديهم وحمل الملك على التأنى اذ جعله له عادة شهيرة ورمز الى قلة
عدد قومه بآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وأوهم بالقلب ما تعارفه
الناس وهو يريد ما لا يستحيل بالانعكاس فتنبه الملك لاشارته وتفطن

وقرأ (كلهم عدوّ كبير عدّة فحصن) فأقلع عن تعريض جنوده للكفاح وحقن دماءهم أن تذهب أدراج الرياح والفضل فى كل ذلك للقوة الكاتب لا القوة الكاتب

﴿ومنها﴾ كونها غير قابلة للانعدام كغيرها من لغات الانام لانه أنزل فيها كتاب عربى مبين تلاوته من أعظم العبادات عند جميع المسلمين وكل متدين بدين الاسلام لاغنى له عن قراءة شئ منه ومن أحاديث خير الانام فمادام هذا الدين قائما كان هذا اللسان موجودا دائما بخلاف اللغات الاخر فليس فيها كتاب يتعبد بمجرد تلاوة كلامه لاعتقاد أربابها أن الترجمة كافية فى بيان مرامه

وقد أوصى أحد فلاسفة الالمان يوما تلامذته فقال

﴿اذا أردتم أن تكتبوا فكرا تأمنون عليه كرور الاجيال فاكتبوه﴾
﴿بالعربية فان لها دون غيرها من اللغات مزيه فقالوا وما مزيتها فقال﴾
﴿لان فى العالم أمة عظيمة العدد ترى من أصول دينها تلاوة كتاب فيها﴾
﴿يسمى القرآن ولاشك فى بقاء الاديان فى الامم العظيمة الشان﴾
﴿وحينئذ فلاشك أن هذا الكتاب يبقى ما بقى هذا الدين وأن العربيه﴾
﴿تبقى ما بقى هذا الكتاب﴾

فهذه كلها معاشر الاخوان فوائد اللغة العربية بالاتقان يهرع كل لبيب الى معرفتها ولا ينكرها عالم بحقيقتها فارجعوا عما أنتم عليه واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه

فلما أذعن الجماعة لنبالة هذه اللغة وجلالة أمرها وأيقنوا بارتفاع

شأنها وعظم قدرها ولم يبق عندهم شك في أنها ملاك الفوائد وأسلاك الفرائد قالوا أما بالها على شرفها مخفورة الذمام مهجورة الاحترام بين الانام وهل يرجى أن يرجع لها شأنها ويقوى بعد هذا الضعف سلطانها فقلت نعم ذلك قريب الحصول بل لابد أن يتحقق المأمول فقد ولي أمر المعارف أكبر عارف بأمرها وأجل من يقدرها حق قدرها وأخذ بزمامها من يعرف بمقامها وذلك هو ناظر المعارف الحالي من له في كل فن تآليف تفوق بحسن نظامها اللآلي تشوق قلوب الادباء الى انتشاق شذاها وطيب رياها وتفيض على أنوار البدور فيغني سناها عن الشمس وضحاها قد حلي بها جيد عصره ونفع بها أبناء مصره فياله من امام همام وعالم لا يلحق فضله ولا يرام أفضاله على الامصار مشهوره وأفعاله في الاقطار محمودة مشكوره فالله تعالى يبقيه لنا ناشرا ألوية العلوم والمعارف ويمتعنا بوجوده فهو روضة الآداب الوريقة وظلها الوارف هذا وما فرغت من الكلام واتصلت من شرح هذه المزايا العربية الى المرام الا وقد أخذ الجماعة من الطرب ما يأخذ أهل السكر وتجاذبوا أطراف مطارف الثناء والشكر وظهرت أسرار السرور وانشرحت صدور الصدور وهبت نسمات قبول الاقبال وأنشد لسان الحال

أفيضوا علينا من الماء فيضا * فنحن عطاش وأنتم ورود

ثم انفض المجلس وقد امتلأ قلب كل

منا نورا ورجع الى أهله

فرحا مسرورا